تصعيد متبادل وتزايد القنابل والمولوتوف

انتهجت سلطات الاحتلال الاسرائيلية، أخيراً، سياسة جديدة، ذات أبعاد خطيرة، لمواجهة الانتفاضة الشعبية في الارض المحتلة. فقد زادت مجموعات المستوطنين من نشاطها العدواني، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، تمهيداً لتحويله الى نشاط شبه عسكري منظّم. وقد باركت الحكومة الاسرائيلية والقيادة العسكرية هذا التحوّل المثير، من خلال اقامة هيئات عدّة جديدة لتنظيم أعمال المستوطنين؛ وأدخلت، في الوقت عينه، عناصر جديدة الى مجال عمل القوات النظامية. بالمقابل، استمر تصاعد العمليات العسكرية وشبه العسكرية التي ينفّذها الناشطون الفلسطينيون. وارتفعت نسبة استخدام الاسلحة النارية، والعبوات والقنابل اليدوية. كما اشتد التوتّر على الجبهة اللبنانية ـ الاسرائيلية، وخصوصاً بعد مطلع العام الجديد، اذ شنّ المقاومون الوطنيون المزيد من العمليات العسكرية ضد جنود الاحتلال الاسرائيلي وحلفائهم في «جيش لبنان الجنوبي»، الذين ردّوا بقصف جوي ومدفعي طاول قواعد عسكرية فلسطينية، وبعض المخيمات.

نشاط المستوطنين

جاءت التطوّرات، الاخيرة، المتعلّقة بدور المستوطنين بعد مسلسل طويل من الاعتداءات والاستفزازات. وقد بلغت الامور، في منتصف كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩١، حدّاً دفع وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، الى التحذير علناً من الاخلال بالأمن، معتبراً ان الاعتداءات على المواطنين الفلسطينيين وممتلكاتهم انما تهدّد أمن المستوطنين اليهود (**الحياة**، لندن، ١٩٩١/١٢/١٧). وجاء ذلك اثر هجمات وقعت في رام الله والبيره، اللتين خضعتا لنظام حظر التجوّل، وكذلك في الخليل وحلحول، فيما تخوّف ضباط في الجيش الاسرائيلي من احتمال فقدان السيطرة، ولجوء المستوطنين الى استخدام الاسلحة النارية (**ميدل ايست انترناشونال**، ١٩٩١/١٢/٢٠).

ولعلّ التخوف الرسمي الاسرائيلي، كان تمهيداً للخطوات، التي أرادت السلطات الاسرائيلية اتخاذها، لاحقاً، بما فيها تبرير اضفاء شرعية على تصرّفات المستوطنين، عبر تنظيمهم رسمياً، بحجّة ضبطهم وحفظ الأمن، غير ان المستوطنين استبقوا الامور، حيث أعلن ستمئة من سكان مستوطنة «كريات اربع»، عن رغبتهم في تشكيل «فرق حراسة» تشرف عليها لجان عمل خاصة (**المصدر نفسه**). فيما قرّر مجلس المستوطنين زيادة دوريات اتباعه، من اجل «تنظيف الطرقات» التي أغلقها الجيش الاسرائيلي لدواعي أمنية (**الحياة**، ١٩٩١/١٢/٢٧)، غير ان المصادر الاسرائيلية استبعدت ان تكون هذه الجماعات، من مجموعات «الرد السريع»، مهتمّة بالتظاهر فقط، بل وربما تعمل من أجل تنفيذ غارات انتقامية ضد المواطنين (**جيروزاليم بوست**، ١٩٩٢/١/٣).

في هذه الاثناء، تواصلت اعتداءات المستوطنين، الذين اطلقوا النار وسط عنبتا، بتاريخ ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩١. وجرحوا شاباً بعد رشق سيارتهم بالحجارة، في الخليل، في الخامس من كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢. وحين قام مستوطنون مسلّحون بغلق الطرق، ومنع العمّال الفلسطينيين من عبور «الخط الاخضر»، في الشهر عينه، تأخّر وصول قوات الجيش الاسرائيلي الذي اكتفى بممارسة سياسة «ضبط النفس» (**ميدل ايست انترناشونال**، ١٩٩٢/١/١٠). كما أغار المستوطنون على قرية العيسوية اثر تعرّض احدى حافلاتهم للنيران قرب مخيم عسكر، بتاريخ ١٩٩٢/١/٢٤، فيما قام أفراد احدى «لجان أمن الطرق» بجرح أربعة مواطنين، رداً على عملية رشق بالحجارة، في الخليل (**القدس العربي**، لندن،